قصيدة النثر

من مظاهر الحداثة الشعرية العربية ظهور قصيدة التفعيلة ، التي تحرّر أصحابها من وحدة الوزن والقافية والبيت الشعري، وتركوا العنان لمشاعرهم لتنساب في شكل أسطر شعرية، متحررة ومتفاوتة في حجمها، ثم جاء نوع آخر من الشعر متحرّر تماما من سلطة الوزن والقافية، وفق مفهوم جديد للشعر، يجد الشاعر فيه الحرية في التعبير عن مشاعره وأفكاره دون قيود، فكانت قصيدة النثر التي تخلصت من سلطة الوزن والقافية.

1- تعريف قصيدة النثر:

تعرف الناقدة الفرنسية سوزان برنارد قصيدة النثر بالقول: «هي قطعة نثر موجزة، بما فيه الكفاية، موحّدة، مضغوطة كقطعة من بلّور... خلق حرّ ليس له من ضرورة غير رغبة المؤلّف في البناء خارجاً عن كل تحديد، وشيء مضطرب إيحاءاته لا نهائية» ولقصيدة النثر إيقاعها الخاص وموسيقاها الداخلية، التي تعتمد على الألفاظ وتتابعها، والصور وتكاملها، والحالة العامة للقصيدة.

يمكننا القول أيضا أن قصيدة النثر هي ذلك الشكل الفني الذي يسعى إلى التخلص من قيود نظام العروض في الشعر العربي، والتحرر من الالتزام بالقواعد التقليدية.

كما عرّفها بعض الأدباء بأنّها عبارة عن نص تهجيني، يمتاز بانفتاحه على الشعر والسرد والنثر الفني، ويتّسم بافتقاره للبنية الصوتية الكمية ذات التنظيم، إلاّ أن له إيقاعا داخليا منفردًا بعدم انتظامه، ويبرز ذلك بتوزيع علامات الترقيم والبنية الدلالية، وفقا لبنية التضاد.

2- نشأة قصيدة النثر:

اختلف النقاد حول البداية الحقيقية لقصيدة النثر العربية، فقد اقترنت بطموح جمهور من الشعراء، كانوا يصبون إلى الانقلاب على سلطان القواعد، ومن ثم كان النزوع إلى الحرية من البوادر الأولى لظهورها بوصفها بحث عن اتجاه شعري حرّ، لتطيح بمظاهر الجمود والرقابة التي ميّزت الشعر الكلاسيكي.

أ. عند الغرب: ظهرت على يد الشعراء الرّمزيّين الفرنسيّين وعلى رأسهم (شارل بودلير) في مجموعته (قصائد نثرية قصيرة) ورامبو وكذلك ملارميه الذي خطا بها خطوات عريقة.

وقد قامت الناقدة الفرنسية سوزان برنارد لأوّل مّرة في التاريخ العالمي للنقد، بكتابة تاريخ شامل لقصيدة النثر (قصيدة النثر من بودلير حتى أيامنا) عام 1959، معتبرة أن قصيدة النثر هي جنس شعري متمّيز.

أما في أمريكا، فقد تبوأ الشاعر (والت وتيمان) الصدارة بين الشعراء الذين توجهوا الكتابة هذا النوع الشعري، وذلك في ديوانه (أوراق العشب) عام 1885، وتدريجيا وبعد موجة من الرّفض والقبول، استطاعت قصيدة النثر أن تحصل على تأشيرة القبول في مملكة الشعر.

ب. عند العرب:

إن الهوس بالمنجز الحضاري الغربي، كان من أهم العوامل المساهمة في نشأة قصيدة النثر العربية، وقد تشكلت نواة هذا الشعر مع كل من أدونيس، خليل حاوي، نذير العظمة، محمد الماغوط ثم انظم إليهم أنسي الحاج ، خالدة سعيد ن، سعد رزوق وكان ذلك عام 1957.

وقد شكل ظهور مجلة (شعر الكلمة) في العراق 1968، منبرًا يدعو الشعراء إلى كتابة قصيدة النثر، وعليه فقد كان العراق مناخًا ملائما لاستقبال قصيدة النثر.

3- خصائص قصيدة النثر:

- خلوها من الوزن والقافية.
- قلة المحسّنات البديعية، وتحرّرها من القوانين والأحكام، حيث تكتب وفقا للفكر الخاص بالشاعر.
- سكون نهايات الجمل والسطور والمقاطع في قصيدة النثر.
- الغموض وصعوبة الفهم والتفسير، لذا يجب على قارئ قصيدة النثر التروي والتأمل في قراءتها.

ويطلق على قصيدة النثر عدة تسميات منها: قصيدة النثر، الشعر المنثور، النثر الشعري.
يقول أدونيس: «لابد لهذا العالم إذن من الرفض الذي يهزّه، لابد من قصيدة النثر، كتمرد أعلى في نطاق الشكل الشعري» وقال أيضا: «أكثر الشعراء في الغرب الذين كتبوا قصيدة النثر، كتبوا قبلها قصيدة الوزن وكانت قصيدة النثر حدّا نهائيا لتجاربهم الشعرية، ولم تكن هربا فنيًّا من الصعوبة إلى السهولة»
يقول الشاعر الجزائري عبد الحميد شكيل:

للريح أغنيات كثيرة
وللهمسات همسات كثيرة
وللأعشاب رقصات كثيرة
وللفقراء،
الغرباء مطلب واحد
العودة لأحضان الطفولة

يقول أدونيس:

في عتمة الأشياء في سّيرها
أحبّ أن أبقى
أحب أن أستبطن الخلقا
أحب أن أشرد كالظنّ
كغربة الفنّ
كالمبهم الغفل وغير الأكيد

للتوسّع:

1. عزالدين المناصرة، إشكالية قصيدة النثر.
2. صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة.
3. نهاد مسعي، شعرية القصيدة النثرية الجزائرية، عبد الحميد شكيل أ نموذجا.
4. قصيدة النثر وتحولات الشعرية العربية، محمود د. إبراهيم الضبع.